سياسة بني حماد لتأمين الغذاء أيام الحصار العربي الهلالي لمدن المغرب الأوسط

الأستاذ/ بوقاعدة البشير
أستاذ مساعد أ
جامعة سطيف 2

Résumé

Cet article étudie l'ensemble des mesures urgents que le commandement des Hammadides les prend pour traiter la situation économique à fournir la nourriture aux habitants Hammadides, que ses activités économiques sont devenues bloquées dans un domaine très étroit à cause de l'activité vive des tribus arabes de Ibn Hilal après son extension sur le côté géographique des Hammadides notamment les zones ci-après: Qalâa, Tobna, Msila.

مقدمة:

يعدّ الغذاء، أحد أهم الركائز التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية بالريف والمدينة، لذلك كان توفيره أحد أولى أولويات اهتمام الدول القائمة لضمان استمراريتها واستقرار الأفراد والجماعات على بساط أقاليمها ومجالاتها، وذلك عن طريق استغلال كل المقومات التي تحوزها، ورصد كل الامكانات الطبيعية والاقتصادية والبشرية المتاحة، للنهوض بالقطاع الزراعي، والرفع من مردوديته، مع الاستعانة بالاستراتيجيات الكفيلة لضمان الأمن الغذائي تماشيا والاختلاف الطبيعي والمناخي ضمن مجالها الجغرافي. ولئن كانت هذه المهمة، أمرا متاحا في فترات السلم والأمن، فإنّ تحصيل الغذاء من طرف القائمين على الدولة أو الساكنة، أمر في غاية الصعوبة، إذا فُقد الأمن وحلّت محلّه مظاهر الفوضى والاضطراب؛ التي تجرّها الحروب والصراعات العسكرية على اختلاف ألوانها وضروبها. ولما يؤول وضع الساكنة إلى ذلك المآل؛ من الفوضى والاضطراب، تضيق أحوالهم العامة وتتأزم، ومن زمرتها الحياة الاقتصادية. حيث تتضرر تماشيا وحجم الاضرار التي تلحقهم من طرف جيوش الأعداء، وصنوف الخسائر التي تطال ممتلكاتهم؛ فلا الأنشطة الفلاحية تحافظ على سيرورة حركيتها وفعالية مردود انتاجيتها، ولا أنشطة الصناعة والحرف تستمرّ على عطائها وحيوية نشاطها ووفرة مقوماتها. فتتعطل وظائف

الكسب والمعاش، ويعرف المردود الانتاجي انحصارا وانكماش، وتضطرّ الساكنة –قيادة ورعية– والحال هذه، إلى البحث عن السبل والبدائل لتوفير الغذاء ومقومات البقاء على قيد الحياة، سواء بالهجرة والفرار، أو بمسالمة العدو والاقرار بشرعية الاعتداء، فاجتناب أكثر الأضرار، أو بطلب المدد والمعونة من الأحلاف، أو بالمقاومة والصمود حتى ضحد العدو والانتصار.

بناءً على هذه التوطئة الوجيزة نقول، بأنّ هذا الوضع المتأزم كاد أن يكون رديفا لفترات الحروب التي عجّ بها بساط المغرب الاسلامي في عصره الوسيط في اطار الصراع العسكري الذي كان مشهدا بارزا في الكثير من فترات الكيانات السياسية التي تعاقبت على سياسة شؤونه. و لم تكن أضرار الحرب، لتقتصر على ساكنة المجال الذي كان ميدان هذه الحروب والحصارات العسكرية، وإنّما كانت تبعاتها وأضرارها تشمل أيضا المجالات الجغرافية المحاذية لها كالضواحي والنواحي. وكان أعظم الضرر الذي يطال مظاهر الاقتصاد، ذلك الذي يصاحب حربا طويلة الأمد، وعدوا شديد الوطأة كثير الاضرار والإفساد.

وللوقوف على صورة شاخصة من هذا الوضع المتأزم للساكنة المغربية في العصر الوسيط، آثرنا أن نقف على مشهد من أحداث تاريخ الدولة الحمادية أصحاب السلطة في المغرب الأوسط (الجزائر)، من خلال استنطاق المادة المصدرية التي تناولت مجريات أحداثها، ونحصرها فيما تعلّق بواقع الساكنة الحمادية في الفترة التي تزامنت والانتشار العربي الهلالي بإقليم المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري (11م) وما صاحب هذا الانتشار من نشاط تخريبي قادته هذه القبائل بالمجاليات التي استأثرت بحكمها وسيطرت على بساطها، أو من مضايقات على دروب التجارة وضروب الأنشطة الاقتصادية، وما كان لهذا النشاط التخريبي من أثر على الواقع الاجتماعي وفي طليعته مهمة توفير الغذاء وضمان سيرورة الحركة الاقتصادية، وماهية الاجراءات التي عمدت السلطة الحمادية لاتخاذها لمعالجة الوضع الراهن وفرض الأمن والسيطرة على فضائها الجغرافي، وبالأحرى ضمان السبل لتوفير الغذاء للرعية وادارة شؤون الاقتصاد بقطاعاته الحيوية المتنوعة في كنف الأمن والاستقرار قصد تلبية حاجات السكان المتزايدة في مجال الغذاء، خصوصا وأنّ الأقاليم الحمادية أضحت في تلك الفترة مجالا يستقطب الفئات المهاجرة من إقليم المغرب الأدنى الذي كان الأكثر تضررا من نشاط القبائل العربية الهلالية، فهاجرت أعداد هامة من نخبه وساكنته إلى المغرب الأوسط بحثا عن فضاء آمن ومجال في منأى عن نشاطهم. لهذا تضاعف حجم التحديات التي باتت ملقاة على عاتق السلطة الحمادية لتوفير الأمن وضمان الغذاء للساكنة.

1- النزوح الهلالي نحو إقليم المغرب الأوسط:

من بين أبرز الأحداث التاريخية التي عرفتها بلاد المغرب الاسلامي خلال القرن الخامس الهجري (11م) تلك الهجرة العربية لقبائل بني هلال و بني سليم إلى أرضه[1]، والتي تزامن وفودها على البلاد وذلك التغيّر في سياسة المعز بن باديس الزيري (406-454هـ/1016-1062م)، إذ أخذت سياسته منعرجا حاسما في توجّهها؛ حين سلك هذا الأخير طريقا مغايرا لما كانت عليه في عهد أسلافه الزيرين من ولاء لبلاط القاهرة وللدعوة الفاطمية الشيعية[2]؛ حيث أقدم على إعلان القطيعة عن الفاطميين والانفصال عنهم، وأعلن بالموازاة مع ذلك ولاءه للخلافة العباسية صاحبة المذهب السني[3]. وكان هذا الحدث الفاجعة، قوي الصدمة

على قادة الفواطم بالقاهرة. وفي ظلّ السعي الحثيث لرجال هذا البلاط لجبر ما كُسر وتضميد جرح الانفصال بإعادة بلاد المغرب إلى حظيرة الخلافة الشيعية، صاغوا جملة من الوصفات عساها تكون دواءً شافيا لذلك المرض، وكان من زمرتها، الرسائل الموجهة للمعز يدعونه فيها للعدول عن قطيعته والرجوع عن خطيئته. بيد أنّ مساعيهم هذه لم تجد أذانا صاغية من رجال البلاط الزيري، بل تلقوا من المعز وأهل المغرب ردودا أعنف، أكّدت الفشل الذريع لمساعيهم، وذلك حين وصلت إلى مسامعهم أنباء تلك الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب والمتمثلة في مقتل جموع هائلة من عناصر الشيعة من طرف سكان المغرب بالقيروان وعديد المدن المغربية، والتي حتى وإن لم تكن بإيعاز وتأييد من ولاّة أمور المغرب لكن سكوتهم على من قام بها يعدّ في حدّ ذاته اقرارا بفعلته. وما زاد الطين بلة وعقّد من مهمة رجال البلاط الفاطمي ووسّع من دائرة الخلاف وفجوة الصدع، هو اقدام المعز الزيري على الدعوة للخليفة العباسي القائم بأمر الله (422هـ/1032م -467هـ/1074م)، وقطع الخطبة للفاطميين وإحراق بنودهم، وضرب السكة بغير اسمهم. ولما بات الحال على هذا المآل، أيقن الخليفة الفاطمي بالقاهرة أنّ خيط الأمل في عودة المعز إلى سابق عهده من الولاء للشيعة قد انقطع، وأضحى لزاما بحث سبل أخرى من شأنها أن تردع المعز وتجبره على الرجوع أو على الأقل أن تكون سبيلا للانتقام إذا كان المعز حسم أمر الانفصال. وبعد تقليب الرؤى وبحث السبل، استقرّ الرأي في نهاية الأمر إلى دفع عرب بني هلال وبني سليم للانتقال بجملتهم إلى أرض المغرب بعدما أقطعوهم اياه، وهيّأوا لهم الظروف لذلك[4].

وإن كانت هذه الرواية السالفة الذكر تكاد تكون مقنعة إلى حدّ ما، فإنّ هناك من الدارسين من شدّ عضدها بروايات أخرى تفيد بتعدد الأسباب التي حفزت العرب الهلالية للانتقال إلى بلاد المغرب أو ممّن لم يقتنع أصلا بتلك الرواية واتخذ لنفسه مسلكا آخر في بحث القرائن والدلائل التي تثبت حقيقة تلك الأسباب والدواعي الكامنة وراء هجرتها. وعلى هذا الأساس نقول: أنّ هناك من يرى أن سبب هذه الهجرة لا يقتصر على حادثة القطيعة وما تلاها، بل يتعدى تلك الرواية التقليدية التي تحصر الهجرة في تلك المأساة التي تحركت بدافع الغريزة الطموح من شهوة وعقوق ومن استعلاء وانتقام، فيضع عندئذ بين أيدينا هؤلاء المؤرخون مادة خبرية تفيد بأن انتقال القبائل العربية الهلالية والسليمية إلى بلاد المغرب كان هجرة بحث عن الكلأ كما هو طبعهم المعهود، حيث كانت هذه القبائل العربية تضغط على السلطة الفاطمية ضغطا شديدا للسماح لها بالمسير إلى المغرب غير أن الفاطميين كانوا يمنعونهم من ذلك[5].

وإن كان هذا الطرح يوحي بأنّ القبائل العربية كانت تحوز رغبة جامحة في الهجرة إلى البلاد المغربية والانتقال إلى فضائها الجغرافي لدواعي اقتصادية أو معاشية، فإنّ هذا لا ينفي أنّ لرجال بلاط القاهرة الفضل في فتح الباب أمامهم ومنحهم التسريح بالجواز، بل وأكثر من ذلك تهيئة الظروف لهم لذلك واعانتهم على الانتقال.

و مهما اختلفت أسباب الهجرة وتعدّدت الرؤى بشأنها، فالثابت أنّ العرب أجازت النيل إلى أرض برقة، وفتحت أمصارها واستباحتها، وعاثت في أطراف البلاد فسادا؛ إذ خرّبوا المدينة الحمراء وأجدابية وسرت ،واستوطنوا البلاد[6]، ثم قصدت العرب أرض القيروان، حتى وصلوا أول قرية فتنادوا هذه القيروان وانتهبوها من حينها، وعاثوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد[7]. وكانت لهم وقعات عدة مع دولة بني زيري، وألحقوا بجيوش زناتة وصنهاجة

هزائم فادحة في فصول لمعارك ضارية تكبّد بنو زيري على اثرها خسائر كبيرة، ولعلّ أشهر الوقائع والصدامات العسكرية التي كانت ضربة موجعة تلقاها الجيش الزيري بقيادة المعز على يد العرب الهلالية وكانت لها تبعات وخيمة على بلاد المغرب الأدنى هي الموقعة الشهيرة المعروفة بوقعة حيدران سنة443هـ/1062م، والتي كانت بحق، ضربة قاسمة لدولة المعز الزيري[8].

و أمام هذه الهزائم والانتكاسات العسكرية المتوالية على المعز أباح هذا الأخير للعرب دخول القيروان فاستباحوها نهبا وتخريبا؛ حيث شرعت العرب في هدم الحصون والقصور، وقلع الثمار. وعندئذ انتقل المعز إلى المهدية سنة 449هـ/1057م، وترك القيروان[9] لتدخلها العرب على الطريقة التي يرسمها لنا المؤرخ ابن خلدون حين بقول: «واستباحتها، وخرّبت مبانيها، وعاثت في محاسنها، فعظمت الرزية وانتشر الداء وأعظل الخطب»[10]. وعلى اثر ذلك، تفرّق أهل القيروان في كل ناحية بعدما سادت الفوضى والاضطرابات، وانعدم الأمن والهدوء؛ وقصدوا المناطق الآمنة كقلعة بني حماد، وبلاد مصر وفاس وصقلية، ومنهم من اجتاز العدوة على بلاد الأندلس. وكان من بين أولئك الذين تركوا القيروان نخبة المجتمع وصفوته من علماء وطلبة العلم وأصحاب التجارة ورؤوس الأموال[11].

و لم تتوقف جموع العرب بأرض المغرب الأدنى بل واصلت سيرها نحو المغرب الأوسط لتصطدم هذه المرة بأمراء دولة بني حماد، الذين حاولوا في بداية الأمر تجنّب الاصطدام مع هذه القبائل، بل وراموا إبعاد خطرها عن عاصمتهم مدينة القلعة وأرباضها. إذ لا شكّ أن أنباء ما كان من وقائع لهؤلاء العرب مع بني عمومتهم من بني زيري وما ألحقوه من أضرار ببلادهم كانت تصل إلى مسامعهم فآثروا حينها عدم مجابهتها حتى يجنّبوا بلادهم المصير الذي حلّ ببلاد بني زيري . بيد أن ذلك لم يكن يعني فسح المجال أمامها لتصول وتجول ببلاد المغرب الأوسط كيف ما تشاء؛ وذلك حينما أوعزوا إلى عناصر القبائل الزناتية بمجابهتهم، إلاّ أن هذه الأخيرة عجزت عن ذلك، وانحصرت إلى تخوم المناطق الصحراوية وبلاد الزاب[12].

و في الوقت الذي آثر بنو حماد سياسة السلم مع العرب الهلالية و عدم الدخول في حرب معها قد تجرّ على بلادهم ما جلبته لدولة بني زيري من أضرار، عمد أمراء بني حماد إلى الاستعانة بهذه القبائل كحليف ونصير ضد عناصر القبائل الزناتية في خضمّ صراعهم القبلي التقليدي مع زناتة، مثلما فعل الأمير الحمادي بلكين بن محمد بن حماد (447-454هـ/1055-1062م) حينما استعان بقبائل بني هلال في حربه ضد زناتة سنة 450هـ/1058-1059م، وخرج منها منتصرا[13].

و إذا رجعنا إلى هذا التحالف الحمادي الهلالي، لوقفنا على أن العرب الهلالية في السنوات الأولى من دخولها أرض المغرب الأوسط لم تعمد إلى سلوك سياسة النهب والتخريب والصراع مع السلطة الحمادية كما فعلت حينما اجتاحت ارض المغرب الأدنى حيث رفضت مدّ يد المساعدة للمعز بن باديس الزيري حينما طلبها، ودخلت معه في حروب وصراعات كانت لها أضرارا كبيرة على حضارة بني زيري بالمغرب الأدنى، وهو ما جعل الكثير من المؤرخين يربط تراجعها بتلك الهجرة العربية إلى أرضها[14].

و يلفت انتباهنا هنا، عبد الله العروي إلى نقطة مهمة حينما أشار إلى أن بني حماد أدركوا ما حلّ ببني عمومتهم من بني زيري في المغرب الأدنى من مصائب؛ عندئذ عاد الأمير الحمادي

القائد بن حماد إلى الحظيرة الفاطمية حينما أعلن الولاء للدعوة الشيعية؛ وهو ما جنّب بلاده ضرر القبائل العربية الهلالية، الذين لم يتجاوزوا حسب هذا المؤرخ حدودها حتى مات هذا الأمير سنة 447هـ /1055م، وخلفه بلكين بن محمد، وانقسم بيت الملك الحمادي على نفسه[15].

و من خلال نص العروي، يتجلّى لنا أنّ هذا الأخير يعتقد أن الحماديين جنّبوا بلادهم ضرر العرب الهلالية ومن ورائه غضب بلاط القاهرة الشيعي، وهي إشارة صريحة مفادها أن قطيعة المعز الزيري عن الفاطميين كانت السبب الرئيس في دفع الفاطميين للقبائل العربية للهجرة إلى بلاد المغرب، والتي رام من ورائها الشيعة كسر شوكة بني زيري عندما اطلقوا أيدي تلك القبائل العربية لتعيث فسادا في أرض المغرب وبأمر منهم[16] في الوقت الذي لم يقتنع العروي -كما ورد في موضع آخر من كتابه- بهذا السبب، أو بتلك الرواية التقليدية كما وصفها[17].

كما لا يفوتنا أن نشير في نفس السياق، أن عدم دخول القبائل العربية إلى أرض المغرب الأوسط حتى سنة 447هـ/1055م لا يمكن ربطه برجوع الأمير القائد الحمادي إلى دعوة الشيعة فحسب، بل إن هذه القبائل العربية إلى حدّ ذلك التاريخ كانت لا تزال تسعى لإحكام سيطرتها على بلاد المغرب الأدنى أو لا يزال صراعها قائما على أشدّه مع السلطة الزيرية، حتى أمكنها دخول القيروان بعدما أجبرت المعز على الانتقال إلى مدينة المهدية سنة 449هـ /1057م، وعندها واصلت بعض بطونها سيرها إلى بلاد المغرب الأوسط. ويضاف إلى ذلك أن تلك القبائل حينما دخلت إقليم دولة بني حماد لم تعمد إلى أفعال النهب والتخريب في عهد الأمير بلكين بن محمد أيضا وليس في عهد القائد بن حماد فحسب كما فعلت في سابق عهدها مع بني زيري[18]، حتى كانت موقعة سبيبة وما أعقبها. وعليه، لا يمكن ربط دخول القبائل العربية الهلالية إلى أرض المغرب الأوسط بإعلانهم الولاء للفاطميين من عدمه فحسب، بل ساهمت جملة من الظروف والعوامل هي الأخرى في ذلك الانتقال، ولو كان مقصد الفاطميين من وراء دفع تلك القبائل الهلالية لتأديب المعز الزيري على قطيعته فحسب، لاكتفت القبائل الهلالية بما أحدثته بأرض بني زيري بالمغرب الأدنى من نهب وإفساد وتخريب للمنشآت العمرانية[19] ولـم تواصل سيرها بعد ذلك إلى بلاد المغرب الأوسط سواء في عهد الأمير الحمادي بلكين بن محمد أو في عهد من تبعه من ملوك بني حماد، أما وإن واصلت سيرها نحو المغرب الأوسط، فذلك يعني أنّ المقصد هو كامل بلاد المغرب.

2- بنو حماد واحتدام الصراع مع الهلاليين:

لم تمض على فترة الهدوء والسلم التي طبعت علاقة الحماديين بالعناصر الجديدة الوافدة إلى إقليمهم (قبائل عرب بني هلال) ما يقارب العقد من الزمن حتى احتدم الصراع بين الطرفين، فكانت موقعة سبيبة سنة 457هـ/1065م في عهد الأمير الحمادي الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1088م)، التي كانت أحد فصول الصراع القائم بين أبناء العمومة من أسرة بني زيري[20] حينما لجأ كل من الطرفين لاتخاذ فروع هذه القبائل أحلافا ونصيرا لكل منهما على الآخر؛ ذلك أن الناصر بن علناس كان يسعى لتوسيع مملكته على حساب ملك الزيريين مستغلا ظروف هؤلاء العصيبة، التي كانت تتخبّط فيها هذه الدولة في ظل استمرار نشاط القبائل الهلالية بإقليمها، حيث اقتصر ملكهم على مدينة المهدية وأحوازها، وأضحى جزء من بلادهم في وقت لاحق يخضع

مجلة الباحث
سياسة بني حماد لتأمين الغذاء أيام الحصار العربي الهلالي لمدن المغرب الأوسط

لسلطان بني حماد[21]، على غرار تونس التي صارت آخرا إلى ولاية الناصر[22] بعدما ولّى عليها أسرة بني خرسان، بالإضافة إلى استقلال مناطق أخرى كقابس وقفصة وصفاقس عن جسم السلطة الزيرية، فانحصر عندئذ ملك الدولة الزيرية إلى الساحل[23]. وكان طموح الناصر الحمادي يتجاوز ما حصل عليه من ممتلكات زيرية ليصل إلى رغبة ملحّة في ضمّ ما كل تبقّى من عرشها لملكه، وأكيد أنّ ذلك لا يتأتى إلاّ إذا ظفر بالعاصمة مدينة المهدية؛ فرأى في تحالفه مع بعض بطون القبائل العربية كالأثبج وعدي سبيلا كفيلا لتحقيق طموحاته التوسعية، وبلوغ الهدف الأسمى وهو: الوصول إلى الوحدة الزيرية الصنهاجية. كما تحالف الناصر مع عناصر قبيلة زناتة بقيادة القائد المغراوي زيري بن عطية الزناتي[24]، حتى وإن كانت هذه العناصر الزناتية تعدّ العدو التقليدي للقبيلة الصنهاجية.

ولم يغفل تميم بن المعز الزيري (454-501هـ/1062-1108م) عمّا كان يُخطّط في دار ملك بني حماد بشأن مملكته، وكردّ فعل وسياسة وقائية-هجومية، سعى سعيه الحثيث هو الآخر لإفشال تلك التحالفات المبرمة ضد بلاده باتباع سياسة الناصر نفسها، وذلك بالتحالف مع قبائل بني هلال وعناصر قبيلة زناتة، حيث تمكّن تميم من استمالة أحلاف الناصر بن علناس إلى صفّه بعدما أغراهم بالغنائم والأسلاب التي تعود عليهم في حال انهزام هذا الأخير، وخوّفهم من الخطر الذي يداهمهم (بنو هلال وزناتة) إذا ما انتصر الناصر، واستفحل أمره في إقليم المغرب الأوسط وحتى الأدنى[25]، فوعدوه حينها بالنصرة والانهزام في قلب المعركة نظير ثلث الغنيمة، فوافقهم على ذلك[26]، وهذا دون أن يتفطّن الناصر إلى ما يدبّره خصومه في المقابل.

وهكذا، وبعد أن حشد كل طرف من طرفي الصراع قواته، التحم القتال في معركة حامية الوطيس عُرفت بموقعة سبيبة، كانت نتيجتها لصالح تميم وأحلافه كما خُطّط له، وكُسر جيش الناصر على اثرها، وتفرّقت قواته، ونجى بنفسه إلى قلعته، فانتهبت القبائل الهلالية معسكره بما حوى من ذخائر وأموال ومتاع وسلاح[27].

و عليه، كانت موقعة سبيبة التي لعبت فيها قبائل بني هلال دورا كبيرا على الرغم من أنّها لم تكن طرفا في الصراع ولا هدف الناصر في ما أقدم عليه من حرب، بداية الصراع الحمادي الهلالي؛ بحيث فتح بنو حماد جبهة ثالثة للصراع، وذلك بالموازاة مع صراعهم ضمن الأسرة الزيرية (صراع أبناء العمومة بين أبناء باديس بن زيري وخلفاء حماد بن بلكين) والصراع مع الغريم التقليدي قبيلة زناتة خصوصا بقيادة فرعيها الكبيرين مغراوة وبني يفرن.

و لا شكّ أن ولوج الحماديين الصراع المتعدّد الجبهات قد أنهك جيوش الدولة الحمادية في حملاتها لصدّ غارات الهلاليين تارة، وتلبية لرغباتها التوسعية على حساب أراضي بني عمومتهم تارة أخرى، وفي أحيان اخرى لتأديب المتمردين، وكبح جماح الثائرين ضمن مجالها الجغرافي خاصة قبائل زناتة[28]، وهو ما أثّر سلبا على مختلف جوانب الحياة في هذ الدولة وعلى رأسها الجانب الاقتصادي.

3- الوضع الاقتصادي لدولة بني حماد بعد موقعة سبيبة:

على الرغم من أن ما أعقب موقعة سبيبة بالمغرب الأوسط لم يكن أشبه بما حلّ بإقليم جيرانهم من بني زيري بالمغرب الأدنى من تخريب لمدينة القيروان وأرباضها، ومن نهب وإفساد لمختلف المرافق التي تقوم عليها الحياة في الريف والمدينة بعد موقعة حيدران[29]، إلاّ أن نتائج هذه الموقعة كانت سيئة

على حضارة بني حماد، فقد تضرّرت كثيرا في ظل ما أقدمت عليه القبائل الهلالية بعد انهزام الناصر في معركة سبيبة بعدما عاثت فسادا بإقليمها لاسيما بأرياف وأحواز العاصمة الحمادية مدينة القلعة وما كان لهذا الوضع المضطّرب من أثر سيّئ على اقتصادها[30].

و يعدّ أول عمل أقدم عليه بنو هلال و كان من بين العوامل التي ساهمت في شلّ اقتصاد هذه الدولة هو نهب معسكر الناصر من طرف العرب الهلالية بعد ضربة سبيبة بكل ما احتوى من مال وسلاح ودواب[31]. ولا شكّ أن هذه الغنائم التي غنمتها العرب الهلالية كانت كثيرة، خصوصا إذا لم نغفل ذلك الرخاء الاقتصادي الذي كانت ترفل بين جناحيه الدولة الحمادية وعاصمتها القلعة كما أشار إليه أغلب المؤرخين والجغرافيين، على غرار ابن خلدون[32]، النويري والإدريسي. فالنويري يذكر في سياق حديثه عن أسباب موقعة سبيبة أن بلاد بني حماد أضحت قبل هذه الموقعة عامرة بالسكان، كثيرة الاموال[33]. أما الإدريسي فيكون إقليم هذه الدولة حسبه من «أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا»[34].

وعليه، تكون هذه الهزة الأولى التي عصفت بجيش الناصر الذي قارب عدد قتلاه أربعة وعشرين الفا[35] وحجم ممتلكاته المسلوبة مبلغا هائلا، ضربة موجعة للحماديين، وسبيلا لأدرك القبائل الهلالية ضعف جيش الناصر وتعدد فصول الصراع التي يخوض معتركها، كما وقفت على سوء العلاقة بين أبناء العمومة وانشغال كل طرف منها بالصراع أكثر من بحث سبل التقارب والاتحاد ضد الخطر الخارجي. وهذا كلّه لا ريب، كان عاملا مساعدا لفتح شهيّة العرب لملاحقة الناصر بعد انهزامه، وسيرهم نحو العاصمة الحمادية مدينة القلعة، ووسّع من دائرة طموحهم للتوغل أكثر في جسم الدولة الحمادية والاستئثار بمساحة واسعة من مجالاتها الجغرافية.

ثم تكون الهزة الثانية، تلك التي تمكنت العرب الهلالية على اثرها من ضرب الناصر في عقر داره وعدم الاكتفاء بنصرها عليه في سبيبة وكسر شوكته بها، حيث عمدت العرب إلى ملاحقته إلى عاصمته القلعة، فحاصرتها العرب، وخرّبت جنباتها. وهو ما ضمّنته المادة المصدرية على غرار ما ساقه ابن خلدون في قوله: «ونجا (الناصر) إلى قسطنطينة (قسنطينة) ورياح في أتباعه، ثم لحق بالقلعة فنازلوها، وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها»[36]، وانتشرت العرب بضواحي القلعة، وضيّقت عليها. وهو ما يبرز لنا رغبة هذه القبائل الملحّة في السيطرة على إقليم دولة بني حماد، بعدما دان لها جزء كبير من بلاد المغرب الأدنى، والعمل على إضعاف الحماديين حين أدركت أكثر من أي وقت مضى أنّ استقرارها بالمنطقة منوط بضعف الدولة الحمادية.

وفي ظل هذا الانتشار الهلالي بإقليم المغرب الأوسط، أقدمت هذه القبائل الهلالية على أعمال تخريبية طالت المدن والقرى[37]، كما أفسدوا ونهبوا المحاصيل الزراعية، وقطعوا السابلة، وضيّقوا على المسالك والطرق التجارية والقوافلية[38]. ولعلّ ما يوره ابن خلدون يعدّ أحد القرائن الدالة على صدق ما نسوقه من طروح، إذ يقول: «وعاجوا على ما هنالك من الأمصار ثم طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها ،و عطفوا على المساكن والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوّروا المياه واحتطبوا الشجر، وأظهروا في الأرض الفساد، وهجّروا ملوك إفريقية و المغرب من صنهاجة و ولاة أعمالها في الأمصار ،وملكوا عليهم الضواحي يتحيّفون جوانبها يقعدون لهم بالمراصد ،ويأخذون لهم الإتاوة على التصرّف في أوطانهم»[39].

و بالموازاة مع سياسة النهب و التخريب وقطع السابلة التي سلكتها القبائل العربية الهلالية، كانت هذه القبائل سندا قويا للقبائل الزناتية وداعما لها لتنفيذ مشاريعها ومخططاتها الانفصالية وشتى أعمالها التمردية وما تثيره من اضطرابات في الإقليم الحمادي، ذلك أنّ العناصر الزناتية كثيرا ما عبّرت في أشواط الصراع التقليدي مع السلطة الحمادية القائمة بالإقليم عن رفضها لاستئثار قبيلة صنهاجة (ونقصد بذلك بني حماد) بملك المغرب الأوسط خاصة بمنطقة الزاب وورجلان[40]، وكانت تلجأ للتحالف مع بعض بطون قبائل بني هلال، وسجّلت النصوص المصدرية في غير ما حادثة تاريخية صنوفا من مدّ العرب الهلالية يد المساعدة لها لمظاهرتها على سلطان الحماديين في أشكال من التمرد والعصيان.

ففي ظل النشاط الزناتي بإقليم الزاب ضدّ الحماديين بقيادة المنتصر ابن خزرون الزناتي الذي لقي حتفه في الحملة التي قادها الحماديون على زناتة[41]، سعت هذه الأخيرة لطلب الثأر والتحالف مع الأثبج الهلاليين ضد الناصر بن علناس، فبعث أهل الزاب إلى الناصر بالخبر فسيّر إليهم ابنه المنصور بجيش حمادي ضخم، فنزل هذا الأخير بلد وغلان –في الجنوب الغربي من بسكرة– معقل المنتصر الزناتي، وهدمها[42].

و ضمن إقليم وارجلان سجّلت بعض القرائن التاريخية، أن بطنا من بني عدي من القبائل العربية الهلالية، طلبت يد العون من بني توجين أحد القبائل الزناتية لمظاهرتها على السلطة الحمادية في اطار نشاطها المعادي لسلطان هذا الكيان بإقليم الجنوب الحمادي، ولقيت ردّا ايجابيا من بني توجين. ونظير هذه الحركة العدائية التمردية والنشاط الغير شرعي من طرفها بتلك المنطقة، اضطرت السلطة الحمادية بقيادة الناصر لإرسال حملة عسكرية قوّد عليها ابنه المنصور أيضا لنسف ذلك النشاط وزعزعة أركان التمرد، فخرجت الجيوش الحمادية إلى بلاد بني توجين أحلاف العرب المناوئين، وتمكّن هذا القائد من تبديد شملهم والقضاء على رؤوسهم[43].

ومن هنا، نلحظ أن النشاط الهلالي قد استشرى في مساحة واسعة من البساط الجغرافي الحمادي ليشمل حتى المناطق الجنوبية الصحراوية. وهناك وجدوا أحلافا ونصيرا لهم، يُعينهم على تغذية مشاريعهم ومطامحهم وأنشطتهم العدائية للسلطة المركزية ، وفي طليعتهم العناصر الزناتية، إذ تظافرت جهودهم عندئذ في أعمال النهب والافساد وقطع الطرق خاصة المسالك التجارية المارة عبر وارجلان نحو بلاد السودان وغيرها من البلاد المغربية[44].

و إذا كانت القبائل العربية قد لجأت في بعض الأحيان إلى التحالف مع زناتة ضد بني حماد، فإن ذلك لا يعني بتاتا أنّ طابع الود هو الذي دفعها إلى ذلك ولا أنّ العلاقة بين الطرفين كانت تمتاز بالحسن والمودة المتبادلة، بل كانت المصلحة المشتركة تقتضي ذلك فحسب، فإذا كانت الغاية من الاتحاد تعود بالمنفعة على الطرفين، سارعا كل منهما لإبرام ذلك الحلف، وفي حال ما انتهت تلك المصلحة، انفض الحلف وانهار. وقد أشرنا إلى أن زناتة كانت أوّل من جابه العرب الهلالية عند دخولهم بلاد المغرب الأوسط، أين فشلت عناصر زناتة في مجابهتهم، وتراجعت إلى بلاد الزاب ووارجلان، فكان أول صدام عسكري للعرب الهلالية بالمغرب الأوسط مع العناصر الزناتية، حيث بانهزام هذه الأخيرة انحصرت وتراجعت نحو الجنوب الحمادي. وهو ما شكّل تدفقا هائلا لأعداد من العناصر الزناتية نحو الفضاء الجغرافي لمدينة وارجلان، حيث اكتظت المدينة عندها بالسكان، وازدادت حدّته بعدما أصبحت ملجأ تفرّ إليه العناصر الزناتية في ظل ما يحلّ بقراهم ومعاقلهم من صراعات وحروب وما تفضي إليه من فقدان للأمن ومن نهب وتخريب

للزروع[45]. وهذا دون ما مواربة، ما ضاعف من مشاكل المدينة الوارجلانية السكانية والاقتصادية، إذ ساءت أوضاعها الاقتصادية، وازدادت مطالب السكان في مجال توفير الغذاء وضبط أمور توفير الأمن والاستقرار. والحق، أنّ ما زاد من أمور المدينة تعقيدا كونها غدت بؤرة من بؤر التوتر في ظل ما تثيره العناصر الزناتية من رغبة جامحة في التمرّد وما تشهده المنطقة من نشاط تخريبي ومظاهر النهب والسلب التي تقوم بها العناصر العربية الهلالية بالكثير من المناطق الجنوبية والتي أضرّت بشكل أكبر بشرايين النشاط التجاري والمسالك القوافلية المتشابكة التي تربط وارجلان بمراكز التجارة الحيوية في الشمال والجنوب. وهذا، دون أن نغفل عن أنّ النشاط الحربي الذي يقوم به الجيش الحمادي في ذلك المجال لزرع الأمن في اطار حملات للإخضاع والتأديب، والذي شكّل هو الآخر أحد الأضرار التي تطال العمارة الحمادية في الجنوب وأنشطة الاقتصاد بالمنطقة[46].

و عليه، ومن خلال ما سبق، فإنّ الانتشار العربي الهلالي بمنطقة المغرب الاوسط بعد موقعة سبيبة، قد ترك أثرا سيّئا على البنية الاقتصادية الحمادية نتيجة سياسة التخريب والنهب والحرق وإفساد المحاصيل الزراعية، ومظاهر امتلاك الأراضي والسيطرة عليها عنوة أو بطرق غير شرعية[47]، بالإضافة إلى محاولات الاستئثار بالبسائط والمناطق السهلية الصالحة للزراعة[48]. ولا يختلجنا الريب، في أنّ هذا النشاط كفيل بإنتاج وضع اقتصادي مضطرب، حيث تتقلص الأراضي الزراعية وتنحصر، وتهجر الساكنة من الأرياف والقرى إلى المدن للاحتماء داخل أسوارها، وتترك مساكنها ومزارعها وبساتينها للنهب والحرق والاتلاف. وفي ظل هذا المناخ التأزمي المضطرب تصبح زراعة الأراضي محصورة على زراعة المدن بتوظيف المساحات الضيقة المحمية بالأسوار في مجال الزراعة ومختلف شؤون الفلاحة وضروبها، وكذا المناطق المجاورة لها؛ أيّ التي لا تصلها يد النهب والتخريب، والبعيدة عن مجال سيطرة العرب الهلالية[49].

و من الطبيعي أن يُفضي ذلك التقلص في مساحة الأراضي المزروعة أو الصالحة للزرع، إلى قلّة مردود الإنتاج الزراعي وتقلّصه هو أيضا، ولا ريب أن من سوء تبعاته أن يصبح هذا الانتاج لا يستوعب حجم احتياجات السكان الغذائية ولا يفي كل متطلباتهم الغذائية، وهذا الناتج أو الوضع المتأزم عُدّ أحد الأسباب المباشرة في حدوث أزمة غذاء بمنطقة المغرب الأوسط وارتفاع أسعار المنتوجات الفلاحية، كما عُدّ عاملا مساعدا على انتشار الأمراض والمجاعات وحتى الأوبئة [50]. ومن الدلائل التي أعانتنا على الاستشهاد على ذلك الوضع التأزمي، ما يرويه ابن عذاري في مصنفه البيان، بأنه في «سنة 469هـ كانت بإفريقية مجاعة عظيمة، ووباء عظيم، مات فيه من الناس خلق كثير»[51].

وللاستزادة في ذات المضمار، يضيف ابن أبي دينار أن منطقة المغرب الأدنى قد أصابها كذلك وباء ومجاعة عظيمة لم يسمع بمثلهما أحد وكان ذلك سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة للهجرة، وقد عزاه إلى تلك الحروب القائمة بين ملوك بني زيري والعرب، وبينهم وبين بني حماد[52]. ونعتقد أنّ ذلك الوضع المتأزم المفضي إلى مثل هذه المشاكل البيئية والأمراض الفتاكة بسبب الصراع بين الحماديين والزيريين، قد أثّر على مجالي المغربين الأوسط والأدنى على حدّ سواء حتى وإن اختلفت حدّة أضراره من منطقة لأخرى، لذلك فإن تلك المجاعة التي عرفتها منطقة المغرب الأدنى بسبب ما احدثه الهلاليون من فساد بذلك الإقليم قد تكون شملت أيضا أجزاء من إقليم المغرب الأوسط في ظل الانتشار العربي

الهلالي بالمنطقة كمحطة ثانية، وما جلبته لمجالاته الجغرافية من مظاهر للنهب واسعة النطاق وحرق للمحاصيل الزراعية المختلفة، وما عرفته المنطقة من أزمة غذاء عقّدت من مأمورية السلطة في مسار ضمان أمن الغذاء للساكنة الحمادية.

4- بنو حماد وتأمين الغذاء:

مع انتشار القبائل الهلالية و تزايد نشاطها التخريبي بإقليم دولة بني حماد، اتّبعت هذه الأخيرة سياسة رامت من ورائها توفير الأمن والاستقرار و الهدوء بالمنطقة بما يكفل ممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة لسدّ حاجات السكان من الغذاء من جهة، وتجنيب البلاد من الوقوع في فخ المجاعات والأمراض الفتاكة التي تعصف بالساكنة بسبب قلة الانتاج الزراعي وأزمة الغذاء وارتفاع الأسعار.

و لما بلغ وضع الدولة الحمادية بعد موقعة سبيبة حدّا كبيرا من الاضطراب، وانفتح إقليم دولتها أمام القبائل العربية الهلالية، كان على الناصر أن يعجّل في تدارك الأمر عن طريق إعادة النظر في سياسته تجاه أبناء عمومته من جهة، وتجاه العرب الهلالية من جهة أخرى، حيث عمد بعد هزيمته إلى التقرب من ابن عمه تميم بن المعز الزيري حينما أرسل رسولا من عنده إلى تميم ينقل إليه رغبته في الصلح، ولم يتردد هذا الأخير في قبول ذلك الصلح[53].

أما من جهة العرب، فقد انتهج الناصر بن علناس الحمادي ألوانا متباينة في سياسة التعامل مع العرب الهلالية، حيث نجده في صنف منها، يعمل على التفريق بين هذه القبائل ويسعى سعيه الحثيث لضرب بعضها ببعض. أمّا من زاوية أخرى، فنقف على سياسة من الناصر الحمادي تجاهها تنبأ بأن هذا الأخير لا زال لم يتعظ بنتائج سبيبة في سياسة طلب المعونة من هذه القبائل على خصومه، حينما بدل جهوده لتوطيد العلاقة مع عرب الأثبج، بل والاستعانة بها في حصاره مدينة الأربس سنة 460هـ/1067م، كما أعانته في حملته العسكرية على المغرب الأدنى حتى أشرف على القيروان ودخلها في السنة الموالية[54].

و في الوقت الذي كانت القبائل الهلالية تُغير على مدينة القلعة عاصمة بني حما د الأولى وتضيّق عليها وتعيث فسادا في ضواحيها، رأى الناصر بن علناس، ضرورة ايجاد موضع بديل عن القلعة يصلح لبناء مدينة أكثر حصانة تكون عاصمة للدولة في منأى عن خطر العرب الهلالية، وبعيدة عن مجال تحركاتهم فاهتدى إلى موضع بجاية، هذا الأخير الذي يرى ابن خلدون[55] أنّه موضع حصين تُحيط به بحواجز جبلية صعبة تجعل منه موضعا صعب المنال، وكان ذلك سنة 460هـ/1067م[56].

إنّ لجوء الناصر إلى موضع بجاية بعدما استحال عليه أمر ترويض القبائل الهلالية[57] ، و تراجع نشاط ودور التجارة الداخلية للدولة الحمادية بشكل عام والدور التجاري الهام الذي كانت تلعبه مدينة القلعة في ظل انتشار اللصوص وسيطرتهم على مسالك التجارة ، وتواصل ضرر العرب بضواحي القلعة، المسيلة، وطبنة، هو توجيه لأنظار الناصر إلى تجارة ما وراء البحر، عن طريق إيجاد ميناء بحري حربي وكذا تجاري لبني حماد حتى يمكنه من تدارك ذلك التراجع الاقتصادي الذي أضحت تعرفه الدولة الحمادية، وتجاوز ذلك الاختلال في التوازن بين النمو الديموغرافي والاقتصادي خاصة في ظل ذلك الاختلال الديموغرافي في حد ذاته بين الداخل والساحل وبين المدينة والريف حينما شغل بنو هلال مجالا جغرافيا واسعا في المناطق الداخلية[58].

كما أن إقليم المغرب الأوسط بعد استقرار العنصر العربي الهلالي بأرضه أصبح مجالا خصبا لتنافس الجماعات القبلية الهلالية والزناتية، وهو ما أدى إلى نهاية نشاط الطرق التجارية الداخلية

كالطريق التجاري الذي يربط بين القيروان وفاس، وهو ما ساهم بشكل ملحوظ في انتقال مركز ثقل الحياة الاقتصادية من المناطق الداخلية إلى الضفة الساحلية، وكذا الحياة السياسية[59]. وهذا ما ترك فراغا سياسيا كبيرا شغلته العرب التي أضحت خيلها تصول وتجول بِحُرّية تامة بالمناطق الداخلية لدولة بني حماد.

وعليه، يمكن القول أنّ بني حماد في الوقت الذي فضّلوا منطقة الساحل ابتعادا عن مجال السيطرة الهلالية بهدف توفير الأمن والاستقرار والغذاء للسكان، قد ساهموا بدورهم في توفير اسباب النهب والسلب بالمناطق الداخلية لدولتهم وذلك في غياب سلطة سياسية كفيلة بضمان أمن واستقرار تلك المناطق الداخلية بعدما تركوا عاصمتهم الأولى مدينة القلعة واتّخذوا من بجاية معقلا ودارا لملك بني حماد.

و لم يكن انتقال السلطة الحمادية إلى بجاية العاصمة الحصينة ليضع حدا لنشاط هذه القبائل العربية ولا حلاً ناجعا لإعادة النشاط الاقتصادي لحالته التي كان عليها أيام الازدهار الاقتصادي الذي عرفته مدينة القلعة في عهد أسلاف الناصر[60]، حيث عرف بنو حماد الاستقرار على الساحل في الوقت الذي استمرّ الوضع المضطّرب في الداخل، وهوما أوجد سلطة قبلية متعددة موازية للسلطة الحمادية، والتي مارست النهب المنظم، وصادرت أموال التجار وأصحاب رؤوس الأموال، وأثقلت الانسان المغربي بالضرائب[61].

وهذا ما أجبر أمراء بني حماد على تقديم اتاوات ضخمة إلى شيوخ القبائل الهلالية نظير الحصول على حق التصرّف في أراضيهم[62] وممتلكاتهم في إقليم دولتهم، وكذا شراء الامن والهدوء حتى وصل الأمر بهم إلى دفع نصف غلاتهم ومحاصيلهم الزراعية[63] حتى تضمن هذه الدولة توفير الغذاء للسكان والذي هو منوط بضمان الأمن والاستقرار من جهة، وممارسة النشاط الفلاحي في الأراضي الزراعية السهلية الخصبة من جهة أخرى.

خاتمة:

وصفوة القول، فإن الأوضاع المضطربة التي عرفتها دولة بني حماد أيام الانتشار الهلالي بإقليم المغرب الأوسط والتي أثّرت سلبا على الحياة الاقتصادية لهذه الدولة، وما نجم عنه من تقلّص في الانتاج الزراعي ومن نقص في الغذاء، قد ساهم بشكل كبير في هجرة سكان القرى والأرياف إلى المدن الحصينة مثل القلعة في بداية الأمر، وفي ظل عجز بني حماد عن توفير الحماية الكافية للسكان، وتأمين المتطلبات من الغذاء انتقلت السلطة الحمادية إلى بجاية العاصمة الحمادية الجديدة.

كما تغيّرت مسالك و طرق التجارة التي كانت تسلكها القوافل التجارية عبر المناطق الداخلية وذلك إلى المناطق الساحلية، التي أضحت تمثّل مركز ثقل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية حينما استقطبت هذه المناطق النخب العلمية التي رامت الأماكن الآمنة.

وقد ساهم ذلك الوضع أيضا في اعادة رسم وتشكيل الخريطة الجغرافية والسكانية لإقليم المغرب الأوسط، إذ تراجع بشكل كبير الدور الاقتصادي لمدن المغرب الأوسط خصوصا الجنوبية على غرار مدينة وارجلان؛ هذه الأخيرة التي كانت تلعب دورا هاما في مجال التجارة الداخلية، وبين المشرق والمغرب وبلاد السودان، وذلك لصالح مدن الساحل كمدينة بجاية العاصمة الثانية لدولة بني حماد.

قائمة المصادر والمراجع:

(1)- تعدّ الهجرة العربية الهلالية إلى بلاد المغرب –حسب شارل أندري جوليان– أهم حدث عرفته بلاد المغرب بلا منازع خلال فترة العصور الوسطى ،فهي التي أثرت أكثر من الفتح الاسلامي تأثيرا طبع بلاد المغرب بطابع لم تمحه القرون ، أنظر: شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية ،تعريب ،محمد مزالي والبشير بن سلامة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،(د.ت.ن) ،ص97.

(2)- يرى بعض المؤرخين أن فكرة الانفصال لم تكن وليدة مطلع القرن الخامس الهجري (11م) بل تمتدّ إلى زمن المنصور الزيري ،وذلك حينما وُلي أمر إفريقية و جاءت الوفود لتهنئته على ولايته أين لمح المنصور إلى رغبته في الانفصال عن الفاطميين ،واستقلاليته التامة في تسيير شؤون دولته عن البلاط الشيعي بالقاهرة ،وذلك ما عبّر عنه صراحة بقوله: «وما أنا في هذا الملك ممن يولّى بكتاب ويعزل بكتاب ،لأني ورثته عن آبائي وأجدادي حمير» ،ولكن ذلك الانفصال لم يتم ؛ ذلك أن بني زيري لم تكن لهم القوة الكافية حتى يقدموا على إعلان القطيعة ، حتى جاء عهد المعز بن باديس الزيري أين أصبحت الدولة الزيرية تمتلك من القوة ما يؤهلها لإعلان الانفصال عن الفاطميين الشيعة ، فأقدموا على ذلك ، للمزيد من التفصيل أنظر: حسين محمود ومصطفى شاكر: الحروب الصليبية في شمال إفريقية واثرها الحضاري سنة 668-792هـ/1270-1390م ، ط1 ،دار عمار للنشر، عمان، الأردن ،1419هـ-1998م ،ص133.

(3)- اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ قطيعة المعز للفاطميين الشيعة اختلافا بيّنا و إن كانت آراؤهم تنحصر في مجملها ضمن الفترة الممتدة بين سنتي 433هـ/1041م و443هـ/1051م ، فابن عذاري يذكر أن المعز أقدم على قطيعته سنة 433هـ1041م ،أما ابن الأثير فيحددها بسنة 435هـ/1043م ،في الوقت الذي يورد ابن خلدون تاريخين لذلك في موضعين مختلفين من تاريخه أحدهما كان في سنة 437هـ/1045م ،والثاني سنة 440هـ/1048م ،ثم نجد ابن عذاري يضع بين أيدينا تاريخا آخر كان فيه حسب هذا المؤرخ صبغ بني زيري الثياب بالسواد و هو سنة 443هـ/ 1051م ،للمزيد من التفاصيل حول ذلك أنظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج1 ،تح ،ج.س .كولان و إ.ليفي بروفنصال ،ط3 ،دار الثقافة ، بيروت ، لبنان،1983 ،ص278 ، محمد ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، مج8 ، صححه ، محمد الدقاق ،ط4، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1424هـ-2003م ،ص295 ، عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،ج6 ،ضبطه ،خليل شحادة، راجعه ،سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1421هـ-2000م، ص228.

(4)- ابن الأثير: المصدر السابق ،مج8 ،ص295.

(5)- أنظر: حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي ، مج1 ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، بيروت ،1412هـ -1992م،ص197-198 ، محمد حسن: المدينة والبادية في العهد الحفصي ،ج1،(د. ط) ،كلية العلوم الانسانية ،جامعة تونس ،تونس 1999 ،ص30 ، إدريس بوهيلة وآخرون: المغرب والأندلس دراسات في التاريخ والأركيولوجية ،تقديم ، محمد الشريف، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، تطوان ،1427هـ -2006م، ص90-91.

(6)- ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ،تح ،محمد شمام ،(د.ط) ،المكتبة العتيقة ،(د.ت.ن) ،ص84.

(7)- ا بن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص21.

(8)- بن عذاري: المصدر السابق ،ج 1،ص292.

(9)- ابن أبي دينار المصدر السابق ،ص84.

(10)- ا بن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص21.

(11)- عبد الله أبو عبيد البكري: المسالك والممالك ،مج2 ،تح ،جمال طلبة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1424هـ-2002م ،ص226.

(12)- رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ،(د .ط) ،الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر،2007م ،ص55.

(13)- ا بن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص28.

(14)- أنظر: الحبيب الجنحاني: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية في المغرب العربي ، ط1 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1968 ،ص107 ، الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م) ، ج1،ترجمة، حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان 1992 ،ص292.

(15)- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب ،ج2 ،(د. ط) ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،1994 ،ص94.

(16)- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص28.

(17) - العروي: المرجع السابق ،ج2 ،ص93.

(18)- للمزيد أنظر: عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تح، حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، 1997،ص110.

(19)- للمزيد أنظر: بن عذاري: المصدر السابق ،ج 1،ص294.

(20)- شهاب الدين النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب ،ج24 ،تح ،عبد المجيد ترجيني ،(د.ط) ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،(د.ت.ن) ،ص122.

(21)- ابن عذاري: المصدر السابق ،ج 1 ،ص299.

(22)- ا بن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص217.

(23)- إسماعيل العربي : دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1998م ،ص 164.

(24)- ابن الأثير: المصدر السابق ،مج8 ،ص372.

(25)- ا بن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص27.

(26)- النويري: المصدر السابق ،مج24 ،ص123.

(27)- ابن عذاري: المصدر السابق ،ج 1 ،ص299.

(28)- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص231.

(29)- أنظر: ابن أبي دينار المصدر السابق ،ص84.

(30)- أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص27.

(31)- ابن الأثير: المصدر السابق ،مج8 ،ص299.

(32)- أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص228.

(33)- النويري: المصدر السابق ،مج24 ،ص122.

(34)- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،مج1 ،(د.ط) ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1414هـ-1994م ،ص255.

(35)- النويري: المصدر السابق ،مج24 ،ص124.

(36)- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص27.

(37)- النويري: المصدر السابق ،مج24 ،ص123.

(38)- حسين مؤنس: المرجع السابق،مج1،ص623.

(39)- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص27.

(40)- إسماعيل العربي: المرجع السابق ،ص174.

(41)- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ،ط2 ،دار الصحوة للنشر و التوزيع ،القاهرة، مصر ،1411 هـ- 1999م ،ص136.

(42)- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص231.

(43)- إسماعيل العربي: المرجع السابق ،ص175.

(44)- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص231.

(45)- المصدر نفسه،ج7 ،ص70.

(46)- إسماعيل العربي: المرجع السابق ،ص174.

(47)- ابن الأثير: المصدر السابق ،مج8 ،ص373.

(48)- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص232.

(49)- عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي بالجزائر ،(د. ط) ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2007 ،ص190-191.

(50)- مبارك بوطارن: «تطور العمران الإسلامي حواضر المغرب نموذجا» ،أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية ،معهد الآثار ،جامعة الجزائر ،2005-2006 ،ص286-287.

(51)- ابن عذاري: المصدر السابق ،ج 1 ،ص300.

(52)- ابن أبي دينار المصدر السابق ،ص86.

(53)- عبد الحليم عويس: المرجع السابق ،ص133.

(54)- ابن عذاري: المصدر السابق ،ج 1 ،ص299.

(55)- ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص232.

(56)- عبد الحليم عويس: المرجع السابق ،ص103.

(57)- مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق ، سعد زغلول عبد الحميد ، ط2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،العراق ،ودار النشر المغربية ،الدار البيضاء، المغرب ،1986 ،ص129.

(58)- مفتاح خلفات : « علماء زواوة و الإرث الثقافي القلعي » ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، العدد 10 ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة ، 143هـ-2009م ، ص45.

(59)- علاوة عمارة: «الهجرة الهلالية و أثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب» ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ،العدد ، جامعة الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية ،قسنطينة ، 143هـ-2009م ،ص24-25.

(60)- أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص228.

(61)- علاوة عمارة: المرجع السابق ،ص25.

(62)- مفتاح خلفات: المرجع السابق ،ص45.

(63)- مبارك بوطارن: المرجع السابق ،ص287-288.